# إشكالية المثاقفة وأثرها في مد جسور التواصل الحضاري

ثريا عبد الوهاب العباسي

جامعة الملك عبد العزيز* جدة * المملكة العربية السعودية

**ملخص**

يهدف هذا المقال إلى إجراء مقاربة منهجية ومعرفية للمثاقفة ودورها في مد جسور التواصل، وفتح آليات المحاورة والمجاورة من أجل أن يتم تفعيل المنظومة الإنسانية في تبنيها خيار الانفتاح على الآخر، انطلاقا من أن هناك خصوصية للذات في مواجهة الآخر، وهذا من شأنه إضفاء مزيد من الثراء والتعدد لدى الذات في استقبالها لهذه المفاهيم، ومن ثم إجراء الحوار المعرفي المبني على أساس التعامل مع الآخر بطريقة سلسة بعيدا عن التعصب أو ممارسة الإقصاء أو مصادرة الآراء.

**Abstract**

*Cultural interaction is a cluster of knowledge, experience, expertise, beliefs, moral values, universal concepts, meaning of things, intellectual activity and human behavior that reflect tangible acts and communication methods depending on life evolution among human communities and the context of generations. Therefore, cultural interaction is a bridge the links nations and people; moreover, the mechanism for human correlation is the marriage tool between human civilization. The term "acculturation" is used first by American anthropologists in the 19th century as an indication for civilizations-interaction due to impacting or being impacted by others through exchanging of ideas and perceptions. However, the term "acculturation" for the Anglo-anthropologists means 'cultural exchange' or 'trans-acculturation' which takes place through languages or written documents or oral tales. In this context, acculturation means getting exposed to different or diversified cultures so integration between ancient and contemporary civilizations is created.*

تلغي المثاقفة كل الحواجز وتذيب كل العلاقات الباردة بين الشعوب في مستويات معينة، لتجعل من الفعل الحواري أكثر حضورا لدى الذات والآخر، ومن ثم ينعكس ذلك على الإنسان، إذ يصبح على قدر كبير من الاستعداد في قبول الآخر عن طريق الفكر والأدب، لأنّه من غير المعقول أن تظل الذات بمعزل عن الآخر في سيرورتها الحضارية، لأنّ ذلك قد يشكل سدا منيعا في وجه التيارات الثقافية والفكرية والأدبية، وهو ما يعني أن التفاعل مع الآخر شكل من أشكال التجدد والاستمرارية.

انطلاقا من هذا التصور الإبستيمي الداعي إلى مد جسور التواصل، وفتح آليات المحاورة والمجاورة من أجل أن يتم تفعيل المنظومة الإنسانية في تبنيها خيار الانفتاح على الآخر، سنحاول قدر استطاعتنا تقديم التصورات المفاهيمية للمثاقفة، وكذا دورها في مد جسور التواصل البناء بين الأمم منذ القديم.

**مفهوم المثاقفة:**

المثاقفة هي إحدى آليات انفتاح الفكر الإنساني، وأحد أهم العوامل في التزاوج بين الحضارات الإنسانية، وهي عملية تتم عن طريق التفاعل في العلاقات التبادلية بين الأمم في شتّى أوجه الإبداع الفكري والأدبي. وهي بالمفهوم الأوسع تعني التراكم المعرفي الذي يختزنه الإنسان ويتجاوز به حدود عالمه لفهم الآخر، ومن ثم يسجل ذلك التراكم المعرفي في إبداعه بأوجهه المتنوعة؛ فكرية وأدبية. ومن الواضح أن مفهوم المثاقفة يشير إلى ما يحدث من تلاقح بين الحقول المعرفية المتمثلة في العلوم الإنسانية والاجتماعية بمختلف مجالاتها؛ كالأدب والفنون، وهو بذلك دعوة إلى إلغاء الحدود المعرفية والفكرية بين الشعوب، والإسهام في إيجاد قنوات التفاعل وآليات التواصل من خلال جملة من المفاهيم المشتركة، لأن الطرح الحضاري يستدعي الانفتاح على الآخر، وعدم التقوقع حول الذات، مع إلغاء الآخر، لأن كل هذا من شأنه فسح المجال بشكل عفوي وتلقائي إلى مزيد من معرفة الآخر للاطلاع على مستويات تفكيره، ودرجة وعيه في التعاطي مع الأشياء والتعامل مع القضايا الآنية المطروحة، للمساهمة في التلاقح والتزاوج الفكري والأدبي في إيجاد مساحات واسعة لممارسة أنشطة فكرية وأدبية تحقق حراكًا فكريًا وأدبيًا بين الشعوب، ويكون من نتائجه ظاهرة التأثر

والتّأثير؛ فالتاريخ يؤكد أن ثراء ثقافات الشعوب وفلسفتها في العصور القديمة كان نتيجة تواصلها وتلاقحها مع ثقافات الأمم الأخرى، واستيعابها لأوجه المتغيرات التي تتلاءم مع قيمها، مع الاحتفاظ بهويتها الأصلية وملامحها المتميزة.

إذا كانت الثقافة تعني إنماء ملكة من الملكات بالممارسة والتدريب المستمر الذي يؤدي إلى ارتقاء الفكر بالتنوع المعرفي، فالمثاقفة تأخذ بعدًا أوسع، فبمفهومها الواسع يتجاوز الإنسان الحدود المحيطة به إلى العالم الأكبر ليكتسب مجموعة من المعارف والأفكار والمهارات الذهنية التي تجعله على قدر كبير من الانفتاح.

**المثاقفة والسياق التاريخي:**

وعلى هذا الأساس يشكل المنهج المقارن اهتماما كبيرا بالدراسات المقارنة الهادفة إلى الوقوف على مواطن التأثير والتأثر بين الشعوب في مجالات مختلفة، وفي لحظات تاريخية معينة للكشف على أن دور المثاقفة لا يتوقف عند حدود الأثر الذي يخلفه هذا التواصل فحسب، بل يمتد إلى البحث عن الكيفية التي يتمّ عن طريقها هذا التداخل المعرفي، والكشف عن التأثيرات الخفية التي تكون لها انعكاسات واضحة على مسار هذه العلاقات المتبادلة على مستوى بناء المجتمعات، وتنشئة الأفراد حسب المتغيرات الحاصلة في المجتمع على مدار حِقبٍ زمنية متباعدة أو متقاربة.

على هذا الأساس يقتضي منهج القياس الاستنباطي المُتبع لدراسة المثاقفة وأثرها في التنظير الأدبي الارتكاز على المنهج الاستقرائي والتاريخي الذي يبحث في أوجه التغيير ومظاهر المتغيرات في المجتمعات الإنسانية عبر العصور، كذلك على منهج الأنثروبولوجيا الذي يدرس المجتمعات منذ العصور البدائية من خلال اللغات وما يتوفر من وثائق مكتوبة ومن روايات شفوية. وقد أظهر هذا المنهج أن الشعوب التي خلّد التاريخُ ذكرها في سجل الحضارات منذ العهود القديمة، قد اتسمت بالانفتاح وتقبل الثقافات الأخرى، بل والاستفادة منها، وإن كانت مغايرة لها.

والانفتاح على أوجه الثقافات المختلفة، له جذور عريقة في جميع المجتمعات الإنسانية منذ قديم الزمان، وهو ما تحقق عبر انتقال الأفكار بين الأمم والشعوب خلال الأزمنة المتعاقبة ومن هذا المفهوم "وعلى مستوى الخطاب تشكّل الفكرة رسالة يتوجّه صاحبها إلى آخر بالمعنى

والقصد، مما يعني أنّ للفكر بُعدًا علائقيًّا، به ننشئ صلة مع الآخرين، سواء على سبيل السّلب والاستبعاد، أو على سبيل الإيجاب والتّواصل. وكما أنه يستحيل على المرء أن يتطابق مع ذاته، يستحيل عليه أن ينقطع عن غيره أو أن يتطابق معه. فالممكن هو أن يعمل على نفسه لكي يتغير ويسهم في تغيير سواه، بخلق وسط للتداول أو مجال للتبادل. بهذا المعنى لا صناعة للذّات من دون صناعة الآخر"[1]. لأن الإنسان بحاجة ماسة إلى الآخر في استكمال ذاته، ومن ثم العمل على التطلع إلى الأفضل، ولو لا أنا وهو ما كان للإنسان القدرة على الانبعاث والاستمرارية.

إن الدراسات الحداثية أثبتت بأن هذا الحوار الثقافي المعرفي والاجتماعي لم يكن وليد الآن، وإنما هو نزوع إنساني نشأ مع الإنسان، واندفاع فطري نحو التجدد والتبدل، يدفعه إلى حالات من التصادم الإبستيمي مع الآخر، فتنكشف له بعض القضايا التي قد تعمل على تقوية حضوره الإنساني، وتؤسس له قوة فعل من حيث اكتسابه لإمكانات، وخصوصيات جديدة، لكن دون أن يكون هذا على حساب الهوية الذاتية والجماعية، وعليه فالمثاقفة ليست وجها من وجوه العداوة والهوية، ولا تعني في أبسط دلالتها إلغاء الآخر من خلال نقد أسس هويته ورفض حضورها، وإنما هي حالة وعي بحاجة إلى فكر آخر للتواصل المعرفي، والحوار الحضاري، من أجل نقلة إبستيمية متفردة ومتجددة في عالم يؤمن بأن أنا والآخر عنصران مكملان لبعضهما البعض، ولا مجال سوى لإطلاق العنان لفتح قنوات الحوار والتواصل على أن يظل كل واحد مرتبطا بهويته وشخصيته الفردية والجماعية، وهو ما يعني أن المثاقفة لا تقف ضد الانتماء الذاتي، ولا تسعى إلى مزيد من إحداث شرخ بين ما هو أصيل وأجنبي، بل تسعى إلى خلق مناخ من التعايش، وعليه فإنّ المثاقفة وعي حضاري، وشكل من أشكال التقارب بين الشعوب والأمم في معرفة طبائعهم وطقوسهم، وطرائق عيشهم، ومستويات تفكيرهم ولهذا نشأت العلاقات الثقافية والتبادل المعرفي بين الأمم منذ العصور القديمة، وأطلقت عليها أسماء ومصطلحات مختلفة، مثل: الأخذ والنّقل والمحاكاة والتّأثر والتّأثير والاندماج، وقد دفعت هذه العلاقات الدارسين في العلوم الإنسانية في القرن التاسع عشر إلى استحداث منهجية علمية لدراسة العلوم المتعددة والمختلفة من زاوية العلاقات التي تربط بين العلوم والفنون والمعارف، وما بينها من تشابه أو اختلاف أو تّأثر أو تّأثير إلى غير ذلك من أوجه العلاقات، أطلق على هذه المنهجية: "المقارنة" حتّى أصبحت علمًا قائمًا بذاته يوَظّف لدراسة حقول علمية ومعرفية متعددة ومتباينة.

تعد العصور الأوروبية القديمة نموذجا لظاهرة التأثر نتيجة التبادل الثقافي وأثره على آدابها؛ فقد سيطرت روما على اليونان عسكريا وسياسيا في "عام 146 ق. م إلا أن اليونان حولت هزيمتها العسكرية والسياسية إلى انتصار فكري وثقافي، فقد أخضعت روما ثقافيا وأدبيًّا وجعلتها تابعة لها. وكثيرًا ما يردد مؤرِّخو الفكر الإنساني أن روما مدينة لليونان في فلسفتها وفنها ونزعتها الإنسانية وأدبها كلُّه، وفي هذا كلُّه كانت محاكاة الرومانيين لأدباء اليونان وكتابهم وفلاسفتهم ملحوظة من مؤرِّخي الأدب والفكر، حتّى من مؤرِّخي الرُّومان أنفسهم"[2] وحث نقّاد الرومان شعراءهم على محاكاة شعراء الإغريق كما ورد عن النّاقد هوراس Horace (65 - 8 ق. م) وهو أحد عمالقة الفكر والأدب الرُّوماني بقوله: "اتّبعوا أمثلة الإغريق وأعكفوا على دراستها ليلاً، وأعكفوا على دراستها نهارًا"[3]، يكشف هذا القول عن دعوة صريحة للإطلاع على الآخر، والتواصل معه فكريا ومعرفيا، لأنّه يتوفر على مجموعة من المؤهلات التي ينفرد بها عن غيره، وعليه فإن التقدم مرهون بمعرفة الآخر.

وقد هيمنت قوة الفكر والثقافة اليونانية على العالم، فقد ظهرت ملاحم هوميروس (Homeros) في المستعمرات الشّرقية على سواحل آسيا والصُّغرى، لتصل إلى الغرب عن طريق اللاجئين السِّياسيين الهاربين من الفرس؛ وبترجمة ملاحم هوميروس (الأوديسيا Odyssey) و(الإلياذة Iliad ) إلى لغات العالم بدأ تلاقح الثّقافات الغربية. وقد كان لمضمونها وطابعهما الملحمي دور كبير في نشر الثقافة اليونانية،وتأثر الشعوب الأخرى بها؛ فالشعر الملحمي الإغريقي Poesies Epiques يقوم على التغنِّي بأمجاد الأمّة وفخرها بحضاراتها،ويجسد روح الأمة وفكرها.

وبما أن التلاقح المعرفي إسهام حقيقي في بعث الإنسان وتجديد معارفه، كان من الضروري البحث عن الآخر من خلال الكشف عن إيجابياته التي من شأنها تقديم قوة فكرية، في تنوير الفكر الإنساني، وهذا ما حدث مع الرومان، حيث لم تمنعهم هزيمتهم العسكرية أمام اليونان من تحويل تلك الهزيمة إلى انتصار فكري وحضاري كان نتاجا عن تأثرهم بالفلسفة والأدب الإغريقي، ولم يجعلوا من فارق المستوى الذي بينهم وبين الإغريق في القوة السياسية والعسكرية، مانعا من الاستفادة من ثقافة وآداب الإغريق ومحاكاته، يجسد ذلك محاكاة الشاعر الروماني فرجيل VERGIL في ملحمته الإنياذة The Aeneid لملحمة الشاعر الإغريقي هوميروس HOMEROS

(الإلياذة Iliad ) حيث وثّق فيها حروب الرومان مع الإغريق، والتغني بأمجاد وبطولات الرومان. ويُعد تأثر الرومان بالفكر الإغريقي نموذجا للتلاقح الفكري والأدبي، جعل من آداب تلك الأمم مصدرا ثقافيا يُعتدُّ به في الثقافات الإنسانية الأخرى[4].

أما إذا توقفنا عند الأمة العربية فإن نوافذها كانت مطلة على المؤثرات الأجنبية، سواء من حيث الدرس الترجمي، أو الحضور الدائم لمختلف الإشعاعات العلمية لتلك الأمم المجاورة، ومثيلاتها من الأمم الأخرى كان لها منذ القديم تواصل مع غيرها؛ ولكن إذا ما عدنا إلى أقدم عصور المجتمع العربي، المتمثل في العصر الجاهلي، نجد أن التاريخ يسجل وجود صلات بين العرب في الجزيرة العربية وبين الأمم المجاورة لهم "إذ كانوا يحملون – بقوافلهم – عروض البحر المتوسط من الشام ومصر إلى مكّة واليمن والحيرة والعراق، ويعودون إلى البحر المتوسط بعروض تلك الأقاليم التي نزلوها"[5]. فقد ألِفَ العرب التواصل مع أمم أخرى على مدار السنة برحلات الشتاء والصيف، وسجّل القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْف**﴾ (سورة قريش، الآية:1 -2).

والمعروف تاريخيا أن احتكاك العرب بالأمم القديمة المجاورة والبعيدة، بدأ أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، أي من فتح (الإسكندر المقدوني)[6] سوريّة وفلسطين وما بين النّهرين، وفي أقطار كانت تسكنها قبائل عربية قبل أن يفتحها الإسكندر[7].

كان لهذا التواصل دور في إحداث حراك فكري ثقافي، إذ استقى العرب من رحلاتهم التي كانوا يقومون بها للأمم المجاورة بعضًا من الثقافات والأفكار.وبظهور الإسلام تجسد معنى الانفتاح والاندماج الإنساني بأعلى صوره، ذلك الانفتاح الذي يؤدي إلى التعارف ومن ثمّ يبنى عليه التلاقح الفكري، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: 13]، فقد تضمّنت الآية الكريمة مفهوم التّعارف، وهو الجسر الذي يوصل الشعوب بعضها ببعض، فيلتقي المؤتلف منها مع المختلف، وتنتظم خيوط المعرفة المتلونة بألوان مختلفة من الأفكار والحضارات الإنسانية لتشكل نسيجًا معرفيا يتماشي مع طبيعة الزمان والمكان. ولعل هذا هو سر التوازن الكوني بين ما هو مختلف ومؤتلف سواء كان في الكائنات الإنسانية أو في المحسوس من

الجمادات، فالأشياء في الكون تتجاذب وتتنافر بحكم تكوين عناصرها وطبيعة فاعليتها، وتفاعلها مع بعضها، مثلما "تتجاذب الأرواح والأفلاك والأصوات والجماد والنّبات والحيوان والنّاس، ومن ثمة كان ما يتأثر به مخلوق يتأثر به مخلوق غيره"[8].

في التثاقف الناتج عن الانفتاح والتزاوج بين المؤتلف والمختلف توجد قيم ومفاهيم الخير والحق والعدل، كما تظهر من التمازج بين الفكر الإنساني ملامح النضج والذكاء وفهم القيم والمفاهيم التي ترقى بالإنسان مرتبة إدراك قيمة التنوع الفكري الذي يوجد المتغيرات، حيث تتشكل أوجه الحياة المتنوعة، فقد وسعت الفتوحات الإسلامية من دائرة التعارف بين الشعوب، فاتسعت بذلك دائرة المجتمع العربي، ومنحه الإسلام الانفتاح على الكون المحيط به بما في ذلك الأمم والشعوب، فلم يعد مجتمع الجزيرة منغلقًا في صحرائه، بل اتسعت دائرة تحركه، وانفتح بذلك فكره على الآخر[9].

وقد تقبل العرب ثقافات الأمم وتعاملوا معها بالشكل الذي يتناسب معهم، إذ "استلهموا ما هو صالح من قيمها وأصولها وقسماتها مما لا يتعارض مع الروح العربية الإسلامية، ثمّ صنعوا مع شعوب هذه البلدان ذلك المزيج الحضاري الجديد الذي يتكون من فكر... الإسلام النّقي، وروح العروبة المتوثِّبة، والمواريث الحضارية الصّالحة في البلاد التي فتحوها، وهو المزيج الذي تبلور في الحضارة العربية الإسلامية"[10].

وكان من ذلك التقبل – الذي ينم عن عقلية منفتحة – التقاء الثقافة العربية بفلسفات وآداب تلك الأمم، من خلال ما تُرجِم من آداب وفلسفات الأمم المجاورة، خاصّة ما تُرجِم عن اليونان، مثل كتاب (فن الشِّعر Poetic) لأرسطو الذي احتفى به العرب، واهتموا بترجمة مؤلّفاته وشروحها بدقة واستعانوا بشرّاح (كالإسكندر الأفرديسي) و(كثاوفورسطس)[11]. وكان لهذه الترجمات والشروح[12] أثر كبير في الفكر العربي.

واستمرّ اندماج العرب بالأمم الأخرى وتأثرهم بها؛ حيث استفادوا من النّقل والترجمة عن تلك الأمم كالسريانية، والفارسية[13]، وأخذوا منها علوما في شتّى مجالات المعرفة. وبظهور الإسلام واتّساع الفتوحات نشط الشّرق العربي فامتزج بغيره من الأمم المفتوحة، وتفاعلت ثقافته وأدبه مع ثقافاتها وآدابها"[14] وازداد بعد الفتوحات حتّى وصل ذروته في العصر العبّاسي؛ مّا أدّى إلى خلق

مُناخ فكري نشط في عصر ازدهر الفكر فيه حتّى سمِّي بـ (العصر الذهبي). وإذا ما عدنا إلى تاريخ الانفتاح عند العرب قديما، نجد أنّ العرب لم ينفتحوا على الفكر اليوناني لأنّه "يجسِّد الشّبيه والمماثل، بل لأنّه يمثِّل المختلف والمغاير، سواء من حيث الآلة المنطقية، أو من حيث المفاهيم الفلسفية. ولو اتّصلوا بمن أو بما يشبههم ويتجانس معهم، لما نتج عن ذلك تفاعل خلاّق ومثمر"[15].

ورغم ذلك الاندماج الحضاري بين العرب وغيرهم من الأمم التي اختلطوا بها،وتأثرهم ببعض تلك الثقافات، ودخول بعض الكلمات الغربية التي عُدَّت دخيلة على اللُّغة العربية كبعض الألفاظ الفارسية، واللّاتينية، إلا أنهم ظلوا محتفظين بهويتهم الفكرية التي تتسم بملامح خاصة بها.

وكان للثقافة الإغريقية تأثير واضح في المصطلحات العلمية، والأدب العربي، ظهر ذلك التّأثير في العصرين: العبّاسي، كنتيجة لحركة النقل والترجمة، ففي مفردات الألفاظ ظهرت بعض الألفاظ اليونانية في الترجمات العربية، وكانت تقريبًا تنحصر في المصطلحات الطِّبية والفلسفية[16]. أما في الأدب والفكر فقد استفاد العرب من الفلسفة والمنطق الإغريقي طرائق التفكير وأساليب التناول للمسائل الفكرية والأدبية، وكان لذلك أثر في المعاني الشعرية؛ فاتّسمت المسائل الفكرية والمعاني الشعرية بالدقة والعمق، واستعمال البراهين العقلية والأقيسة المنطقية، وحسن التعليل. ومن أكثر من تأثر بهذه الثقافة من الأدباء والشعراء وأبو نواس، وبشر بن المعتمر، وصفوان الأنصاري. كما ظهر "عدد كبير من الحكم والأمثال التي تُنسب لفلاسفة اليونان وحكمائهم مثل: أفلاطون، وسقراط، وفيثاغورس، وأرسطو، وجالينوس، نجدها في أمهات كتب الأدب العربي من مثل: الحيوان والبيان والتبيين للجاحظ، وعيون الأخبار لابن قتيبة، مثل: قيل لجالينوس: إنك تقل من الطّعام، قال: غرضي من الطّعام أن آكل لأحيا، وغرض غيري من الطّعام أن يحيا ليأكل"[17]. كما أن هناك إشارات في الشعر العربي لأمثلة تعود إلى أساطير إغريقية.

**أيقنت أن المستحيل ثلاثة الغول والعنقـاء والخـلُّ الـوفي**

فالعنقاء رمز أسطوري وظّفه الشاعر في إشاراته إلى المستحيلات، والذي يخدم المعنى الذي يرمي إليه، وهو استحالة وجود صديق في الدنيا.هكذا انتقلت الأسطورة من آداب لاتينية وظفها الشاعر لغرض خاص. و(أسطورة العنقاء) وردت في قصيدة ألفها الشاعر الروماني، لاكتانتيوس، مستخدما طائر العنقاء كرمز نقله الشاعر هيرودوت ورمز به إلى موت المسيح وبعثه، وهي قصيدة لاتينية من بين أقدم ما تُرجم إلى اللغة الإنجليزية.

وكما تأثر العرب بثقافات الأمم الأخرى فأثروا في ثقافات غيرهم من الأمم؛ ففي التاريخ الأدبي للقرون الوسطى في أوروبا، لعب العرب دورا بارزا في نقل العلوم والفلسفة اليونانية إلى الأدب العربي إضافة إلى الآداب الغربية عن طريق الأندلس؛ فاستطاعوا بما قدموه من ترجمات، أن يدمجوا بين الحضارتين العربية والأوروبية ممثّلة في إسبانيا[18]، مما شكّل نشاطا فكريا وأدبيا اتسم بالتنوع الفكري والثقافي، وكانت المراكز الفكرية والفنية في مدن إسبانيا "تعج بالنشاط الذي أوقده العرب أثناء احتكاكهم بالأندلسيين، ونشأ عن ذلك الاحتكاك ثقافة اتسمت بالتنوع، حيث وجدت بيئة استطاعت فيها الأشكال الأدبية المهجّنة، مثل الموشّحة والزّجل، أن تنشأ وتزدهر، فالأندلس خلقت جوًّا اجتمعت فيه العلوم الموروثة للثقافات الثلاث المنفصلة، وعُرِض بعضها على بعض بشكل فعّال، وفي كثير من الحالات بشكل مثمر. وبهرت نتاجات هذه الأرض النسول الثّرية بصورة غير معهودة كِلا العالمين اللذين انتمت إليهما. فابن رشد سيتألق في الغرب، لكنه سيكون منسيا في الشرق إلى حد كبير، وكتابات ابن حزم كانت تُدرس في الشرق أكثر منها في الغرب، غير أن الأندلس كانت جزءًا من العالمين، وليست جزءا خارجا عن كليهما، كما تخبرنا بذلك غالبًا قراءتنا القديمة... لذلك فقد كانت الأندلس تُشكِّل مركزًا رئيسيا للعلوم، أُدخلت منه أنواع مختلفة من التقاليد الفكرية إلى بقية أوروبا عبر ثروة هائلة من الترجمات،... "[19].

**تجليات المثاقفة على الصعيد الفكري:**

إن فعل المثاقفة ينتج التنوع المعرفي الذي يحرِّك فكر الأمم من حالة السُّكون إلى الحيوية والحراك الذي يُحدث التلاقح الفكري. فإذا تمّ مثل هذا التّأثير بين شعوب مختلفة المشارب والعصور واللغات فمعنى ذلك أن فعل التثاقف فوق الظُّنون. إن ما يؤكد هذا المفهوم هو أن المثقّف همُّه الفَهم، وتوسيع عالم الفكر، ولذا فهو يقيم علاقة دائمة مع ذاته وفكره في علاقة مفتوحة على المألوف بالمساءلة الدّائمة والفحص المستمر، مثل هذه العلاقة هي في الواقع بناء متواصل للفكر على سبيل الكشف والتّحليل بصورة تتيح للعقل إعادة صياغة المفاهيم لاستيعاب المستجد من المعطيات. هذه المساحة الواسعة التي يحدث فيها التقاء المجالات المعرفية والفنيّة المتعدِّدة في كمِّها والمتباينة في نوعها وطبيعتها تلتقي في بعض مقاصدها التي تهدف إلى إنارة العقل الإنساني بالمعرفة التي هي نتاج الثقافة التي تؤسس بدورها لحضارة استوعبت النتاج المعرفي الإنساني بأشكاله المختلفة، ومصادره الإنسانية المتعددة؛ فـ "الحضارة هي العلم بما هو

تنظيم للمعارف أي وضعها وصياغتها في نظام لا يخضع لحدس الفرد العالم وللنفاذ بصيرته، وإنّما لأسس تسمح لكل متعلم أن يدركه ويستفيد منه. في العلم تجاوز عظيم للمعرفة من الخاص إلى العام، ومن الذّاتي إلى الموضوعي، وللجماعة القومية الضيقة إلى الإنسانية الواسعة، وهذا ما يسهِّل انتقال المعارف عبر الثّقافات وانتشار الخبرة وتعميمها على نطاق المعمورة"[20].

إن الشراكة الثقافية هي من أهم ما يتميز به الإنسان المتحضر الذي "يفكر بصورة منتجة ومجدية، ليس... بمنطق القاصر أو الضّحية، ولا بعقلية الاستبعاد للمختلف والآخر، بل بعقلية الشّراكة والمسؤولية المتبادلة أو بلغة الخلق والمبادرة، لكي يمارس علاقته بذاته، وبالغير، بالواقع والحدث، على سبيل الحضور والفاعلية أو على سبيل النّماء والازدهار. إن ماهيّة الشيء تتوقّف على علاقته بسواه، بمعنى أنّه يتقوّم بما يختلف عنه، ولا ينفك عن استدعاء ضدِّه[21].كما قال المتنبِّي:

**ونديمهم وبهم عرفنا فضلَه وبضدها تتبين الأشياء**

لقد ساهم هذا التّوجه في اتِّساع مدلول المثاقفة ليشمل جوانب عديدة في حياة الإنسان: الوجداني والعقلاني، الفردي والاجتماعي، حتّى أصبحت الثّقافة قطب ترابط الذّات مع الآخر دون الأخذ في الاعتبار ثنائيّة التّأثر والتأثير أو الأخذ والعطاء. من هنا نجد أنّ الثّقافة تعمل على إعادة الترتيب للقيم التي ترتكز عليها العلاقات الإنسانية، وتلغي صورة التّفاضل الثّقافي الذي ساد التّفكير في المجتمعات الإنسانية ردحًا من الزّمن. "إنّ الثّقافة العالميّة Universe... تعتمد على خطاب شمولي جديد، يحمل هذا الخطاب الجديد أطروحات تصور النِّظام العالمي الجديد، فالخطاب– الكوزموبولتيكي- الكوني منذ عشرين سنة، وبشكل شرس وهجمة قوية حاول الإطاحة بفكرة التّمايز الثّقافي، ..."[22].

إذا كانت المثاقفة تعني التعددية المتباينة، أو بمعنى أوسع الشمولية في التنوع الفكري والحضاري للشعوب، فهي بذلك تحمل مدلول الإضافة أو الاستزادة من الآخر المختلف، وذلك من منطلق التمازج والاندماج بين المؤتلف والمختلف بما يحقق فعالية التنوع والمنفعة من المختلف. "لكي يساهم في تغيير من يختلف عنه، عبر المشاركة البناءة في خلق شروط الاتِّحاد والتّعاون، من اللُّغات والمجالات أو من الصِّيغ والمعادلات. فالاختلاف بين الذوات يقدِّم

إمكانًا للقاء والتّواصل عندما يجري تناوله والعمل عليه بفكر [منطقي]، بعيدًا عن منطق اليقين القاطع والفصل الجذري أو الحاسم، وذلك لتحويله إلى لغة للتفاهم أو قاعدة للتّحاور أو بيئة للتّعايش أو صيغة للتّداول أو عملة للتّبادل"[23].

وإذا كان الاختلاف بين الأشياء المتباعدة في طبيعتها يؤدي دوراً فاعلاً في إمكانية حدوث نتائج إيجابية في تلاقي قطبيها أو التواصل بين أطرافها، كتلاقي الموجب بالسّالب، وهذا من المنظور الفيزيائي في الأشياء والظواهر المختلفة، فكيف إذاُفعِّل هذا المفهوم في تلاقي المختلف من الأفكار والحضارات الإنسانية عبر مرور الزّمن. وهذا يشكل تحديا صريحا بأن الحوار الحضاري بين الشعوب في نقل المعارف، والتبادل الفكري عمل مثمر في بناء الحضارة، وتأسيس لمنظومة ابستمولوجية قادرة على رفع التحدي الذي من شأنه إحداث نقلة نوعية في مسار تاريخ البشرية.

إن فعل التواصل يمنح فرص الشراكة الفكرية والمبادلات المعرفية، ومن هنا يمكن أن تستثمر هذه الفرص في المساهمة العلية في بناء الحضارة، وبعث النفوس على ضرورة المصالحة مع الذات، لتولِّد أفكارًا تتضمن رسالة تحمل دلالة علائقيَّة تشير إلى فاعلية الصلة مع الآخر، وهذا المفهوم يحمل بعدًا له أهمية كبيرة تتمثّل في تشكيل الهوية بصورة تلائم معطيات العصر، بما في ذلك الشمولية في التعامل مع تلك المعطيات التي تعمل بديناميكية سريعة تحقق للذات الفردية إمكانية مواكبة المتغيرات فتعمل على برمجة ذاتها وذلك "من خلال الانفتاح على الآخر المختلف، والتعرف على قيم ومعايير جديدة تسود فيها معاني وعلاقات الشراكة الفكرية والمعرفية التي تنظِّم خارطة الحضارة الإنسانية.

ولابد أن ندرك أن هذه الشراكة الفكرية "ليست مجرّد نموذج للتّطبيق بقدر ما هي شبكة للتّحويل تتغيّر معها الأطر الإدراكيّة والأدوات المفهومية أو التّقنيات التّعبيرية، بقدر ما تتغيّر المعطيات والموضوعات أو المقاصد والغايات. ولذا مع كل فكرة جديدة، خصبة أو فعّالة، يحدث تحويل مثلث يطال المرء بذاته وبغيره وبالواقع؛ ممّا يعني أن الفكرة على الورق وفي الخطاب هي غيرها في المعترك وعلى أرض الممارسة، إذ هي تخضع في أتون التّجربة للتّعديل والتّطوير أو للتّرميم والتّطعيم أو للتّبديل والتّغيير، سواء من جهة علاقتها بالحقيقة والمعرفة أو بالقوّة والسلطة"[24].

**أثر المثاقفة على الصعيد الابستيمي:**

إن الانفتاح على الثقافات الأخرى، والتأثُّر بها، يتيح لك معرفة حضورك في علم التكنولوجي بشكل سريع، هو أحد أهم العوامل التي تساعد الفكر على اجتياز حدود التعصُّب والانطواء على الذّات والتّقوقع والانعزال لا يأتي بجديد، ولا يعمل على التجديد والابتكار ولا بتفاعل مع متغيرات العصر من حيث الفهم والممارسة، وبذلك لا يحدث بين الفكر المنحصر في ذاته وبين مستجدات العصر أي ارتباط يحقق التواصل المعرفي مع الآخر إذا ظل الانكماش قائما. هذا الانغلاق الفكري هو ناتج عن انتشار ثقافة الرفض لكل ما هو مختلف عنا أو الخوف من فقد الثوابت في ظل الانفتاح. مع أننا "في النهاية ننتمي إلى زمننا، بقدر ما نحن آتون من تراثنا، فإمّا أن نستخدم معطياتنا الوجوديّة وإمكاناتنا الموروثة بصورة حيّة وخصبة، غنيّة وثمينة، لكي نشارك في صناعة الحاضر وتشكيل العالم، وإمّا أن نتعاطى معها بصورة هشّة وغير منتجة،لكي نجمد ونبقى على هامش ما يحدث، نتلقّى تأثير الأحداث ولا نساهم في تصنيع الواقع"[25].

وبذلك فإن مفهوم التعددية الثقافية، يحمل في مضمونه بعدين: أولهما أن الانفتاح الثقافي يعني ممارسة فكرية لمعارف حضارية متعددة الأوجه ومبتكرة، تكشف عن ممارسة طرائق تتسم بالجدّة في التفكير وأداة فاعلة من أدوات الفهم، وهذا ما يؤكِّد أن للفكر بعدًا علائقيًا به يتم التواصل مع الآخر. فمن "يفكر بصورة حرّة ومستقلّة، لا يستبعد أي نتاج فكري من دائرة اهتمامه، ولا يخشى التفكير بداعي المحافظة، وإنّما هو الذي يتحرر من المسبقات لكي يقتحم المستبعد ويواكب المستجد من الأفكار. والفكرة الجديدة تطلق إمكانات خصبة للفهم والتفسير أو للتحليل والتعبير أو للتقدير والتدبير، مع ما يحمله ذلك من إمكانات التحرير والتغيير"[26].

البعد الثاني: هو أن الانفتاح الثّقافي والتوسع المعرفي بقدر ما يسهم في فتح علاقة مع الآخر، فإنه يعمل على إعادة صوغ علاقة الإنسان بذاته وبتراثه الذي يشكل هويته، وذلك من خلال إضافات جديدة لتراثه عبر الانفتاح على قيم جديدة تسود فيها مفاهيم الشراكة والتبادل الفكري، وتحقق فيها القناعة التامة بأن التعددية الفكرية هي أهم استراتيجيات التحويل وآليات التغيير لواقع أفضل في ضوء المتغيرات السريعة، وهي العامل الذي يساعد الحفاظ على الهوية دون الوقوع في التّحجر والانغلاق والتعصّب الذي قد يحيل إلى عجز فكري أو قصور عملي، إذ مثل هذه النمطية من التفكير، قد تؤدي إلى التراجع الفكري الذي يبطئ حركية الحياة على مواكبة ركب النقد والتحضر.

مثل هذا النمط من الأساليب الحياتية يفسر لنا كيف أن أمّة من الأمم تتراجع إلى الوراء بدلاً من السير قدمًا لمواكبة مسيرة التقدم، وهذا ما قد يجعلها تصبح على هامش التاريخ، ولا عجب في ذلك: فالقوّة والفاعليّة والازدهار الفكري والحضور الفعلي للفكر المبدع يتحقق في قناعة الأمّة بالمساهمة في تكوين المشهد الحضاري العالمي، وذلك عبر اقتحام مناطق جديدة للتفكير، ليتحقق وجود واقع جديد له دينامكيته القوية التي تعمل على إنجاز حضاري تدخل به الأمّة في منظومة الحضارات العالمية. لا شك أن مثل هذا الدور الفاعل لا يمارس إذا بقيت الأمّة منعزلة لا تمنح نفسها فرصة الانخراط في صناعة العالم، ونسج علاقات فاعلة ومثمرة، وذلك بخلق إمكانيات جديدة تتغير معها جغرافيّة موقعها ودورها في تغيير مفاهيم ومعان جديدة تحتل بها مركز القوّة[27].

إن علاقة الإنسان بوجوده في أساسها علاقة فكر يتجلّى في التعامل العقلاني مع الآخر، إضافة إلى كيفية تعامله مع الأشياء والأحداث، مع المكان والزمان، مع كل المعطيات الحياتية بما يحقق له الاندماج والتفاعل مع المتغيرات ليحتل موقعه في خارطة التقدم الحضاري[28]. والانطلاق في ساحة البحث من مبدأ التفكير المتجاوز لحدوده وفق منطق التحول حسب ما تستحدثه المعطيات الحياتية، لا يقف موقف الباحث عن الأصول فقط، لاغيا أثر التحولات الزمنية والتغيرات التي تطرأ على المجتمع الإنساني نتيجة العوامل الترابطية، كل ذلك يشير إلى وجود خيط المعرفة الذي يربط الفكر الإنساني برباط يمزج بين المتقارب والمختلف، بل يجب أن يكون منفتحا على الآخر لاستكشاف خصوصيات أخرى تكون فعالة في التواصل من مجتمع إلى آخر.

لا شك أن بنية الوعي الإنساني تختلف في كثير من الأوجه الفكرية والحياتية، وذلك بسبب اختلافات تكمن في الوقع الحياتي الذي تشكله العقائد والعادات والفلسفات، وأيضا المناخ الجغرافي: المكان والزمان، إضافة إلى المتغيرات التي تطرأ على المجتمع الإنساني مع مرور الزمن، هي المحرِّك الديناميكي لهذه الأحداث والمتغيرات في العالم. إن بناء أي حضارة إنسانية لابد لها من عقل يدير محرِّكات الحياة الموجودة في المحيط، وهذا التحريك مسألة ضرورية للإنسان لكي يستمر بقاؤه، ويستمد منها قوّته. "ولّما كان العقل موجّهًا نحو الطّبيعة فإنه يتعامل مع العالم الخارجي، يدركه في ثباته. وإن أدركه في حركته فإن قوانين الحركة هي نفسها قوانين ثابتة، أقرب

إلى الميكانيكا منها إلى الديناميك، لا يستطيع العقل الدخول إلى الباطن، باطن النفس أو حقائق الأشياء،لا يستطيع أن يحركها أو يغيرها وإلاّ فلتت منه. لذلك كان أفضل موضوع لديه هو الهندسة، الكم المتّصل، أو الحساب، الكم المنفصل... ولمّا كان العقل يتعامل مع العالم الخارجي الثّابت الذي يتحرّك ألِيًّا فقد فقَد العالم حرارته. لذلك يتعامل العقل معه ببرود سمِّي الموضوعية والحياد حتّى يستطيع اكتشاف قوانينه المطّردة دون ما تدخل العواطف والانفعالات...."[29].

وليتحقق فعل المثقافة لابد من التحرر من القيود التي تحصر الفكر في نطاق ضيق، حيث تبطئ التغير، وتعمل على تضييق آفاق بطيء التغيير، إلى آفَاق التطلع إلى المستقبل بمعطيات الحضارة الإنسانية، وإذا ما تم فعل التحرر عندئذٍ تحصل الاستفادة من منابع متعددة، ويتحقق التعارف والتبادل مع أنماط مختلفة من الأفكار "وذلك لأن حركيّة الأفكار، يمكن قياسها باعتماد إيقاع الثقافات الوطنية نفسها؛ إيقاع الظروف الخاصّة الاجتماعية – الاقتصادية – السياسية لكل بلد، وهو إيقاع يقوى أو يتباطأ، يساند أو يُعاق بانتشار الأفكار، ... إنّ العوامل الاجتماعية القوية، التي ولدت الأفكار المحرِّكة للقرن الثامن عشر، قد أعطت هذه الأخيرة، القوة على ضم واجتياح كل شيء، إذا لم يسبق للأفكار، ولمفاهيم الحرية والإنسانية، أن كانت أكثر انتشارًا...، ممّا كانت عليه في هذا القرن. وربّما كانت هذه المرّة الأولى، التي يظهر الإنسان بكل سماته الميتافيزيقية والإبستيمولوجية الثابتة، ... والذي شكّل الدفعة الأساسية، في اتِّجاه اكتشاف القوانين الكبرى، التي تحكم العالم المحسوس، وعالم الكواكب، العالم المعنوي، وعالم التاريخ، تلك القوانين التي تستطيع وحدها أن تقدم اليقين [في مجال العلم والمعرفة]"[30].

وترتبط الثقافة بأنواع متعدِّدة من المعارف، والأنماط الإنسانية المختلفة التي تظهر في الواقع الحياتي وتبدو واضحة في السلوك الإنساني وفق المناخ البيئي والجغرافي، والعادات والتقاليد والفكر السّائد، يؤكِّد ذلك أن التنوع والاختلاف المعرفي هو في ذاته مؤشر للاستطاعة التي يمتلكها الإنسان في مواءمته مع المتغيرات الحياتية؛ سواء كانت تغيرات بيئية أو مناخية، أو اجتماعية أو سياسية، ... إلخ، بل أيضا ما يتمتع به الإنسان من استطاعة تمكنه أن يكون له دور كبير له أهميّته في دفع عجلة التقدم الحضاري عبر الانفتاح الفكري على الحضارات المختلفة.

**أثر الانفتاح على الإبداع:**

تؤكد الدراسات الحديثة أن التقاء الثقافات المختلفة يسهم في تشكيل المعارف في خارطة الفكر الإنساني، وإن اختلفت البيئات الجغرافية والاجتماعية وما يترتب على ذلك من اختلاف المعتقدات والمفاهيم والفلسفات،... إلخ. وقد تأخذ هذه الاختلافات منحًى يحدث ائتلافا بين أوجه التنوع في الأفكار. وإن كان تاريخ العلاقات الفكرية متشابكا، وقد لا يتيح معرفة أقدم تأثير، أو تلاقح معرفي حدث في التاريخ الإنساني، إلاّ إذا ما اتسم به التراث العربي من عراقة حضارية امتدت متنامية عبر الزمان والمكان قبل أن تكتمل في النهاية في حضارة عربية إسلامية، تؤكِّد أن الشرق القديم _ والعرب جزء منه _ قد سبق "الغرب واليونان إلى ابتداع حضارات إنسانية تميزت بالنضج، وكانت تقوم على صناعات وعلوم عملية،... ومن دلالات العلوم التي توصل إليها الشرق القديم أن قدماء المصريين كانوا أول من ابتدع الرياضيات، واخترع الميكانيكا، ... وكان البابليون والكلدانيون أول من درس أجرام السماء، فقسّموا اليوم إلى أربع وعشرين ساعة، وتنبؤا بكسوف الشمس وخسوف القمر. وكانت مدرسة الرواقيين الكبرى من مدارس الفلسفة اليونانية، شرقية في أصول مبادئها وتفكيرها وفي أساتذتها، وكان رأسها "زينون" من أصل فينيقي، ..."[*].

وبذلك ظهرت النظرة المعرفية المطعّمة بمفهوم التّعددية الثقافية في مختلف البيئات والمجتمعات الإنسانية، "ومن خلال الحضارتين البيزنطية والفارسية بالإضافة إلى حضارات سورية والعراق بدأت الخطوط الرئيسة لأفكار أرسطو وأفلاطون وسقراط وإقليدس وفيثاغورس تُنقَل ببطء إلى اللغة العربية من اللُّغات اللّاتينية والإغريقية والسريانية والفارسية"[31].

وواضح أن العرب قديمًا كانوا مولعين بما يُثري فكرهم من العلوم، والمعارف والفلسفات أكثر من ولعهم بآداب الأمم المجاورة لهم، ونلمس ذلك التأثر في بعض النظريات العلمية، كنظرية الأوليات الرياضية، وهي في الحقيقة نظرية التناسب التي جذرها أفلاطون ثم نقلها أرسطو إلى حقول معرفية أخرى، مثل الأخلاق والبلاغة. وقد وردت هذه المعاني في كتاب فن الشعر باسم التّمثيل (القياس)، "وقد دخلت هذه النظرية إلى الثقافة العربية الإسلامية في الأخلاق وفي الرياضيّات وفي البلاغة وفي المعمار وفي الموسيقى؛ ويجدها الباحث لدى فلاسفة الأخلاق المسلمين مثل ابن مسكويه وأبي حيّان التوحيدي، ويعثر عليها في شفاء ابن سينا

باعتبارها قوانين رياضية، وفي تلخيص ابن رشد وفي منهاج البلغاء الذي حاول حازم فيه أن يوظِّفها موسيقيًّا لتأسيس عروض جديد. وأمّا ابن البناء العددي فهي حجر الزاوية في أعماله وخصوصًا كتابيه رفع الحجاب، والروض المريع"[32]. أما فيما يتعلق بالأجناس الأدبية للأمم المجاورة فلم ينقل العرب شيئًا منها، كالملحمة، والمسرحية والقصّة، وغيرها من الأنواع الأدبية التي كانت سائدة في المجتمعات الغربيّة، وكانت الترجمة إحدى الساحات الثقافية المهمة والنشطة في العصر العباسي، فقد استفاد العرب وأفادوا من النّقل والترجمة عن الأمم الأخرى كالسِّريانية، والفارسية إلى جانب اليونانية والهندية حين أخذوا من تلك الحضارات علومًا في الطِّب، والكيمياء، والفلك، والطّبيعة، كذلك في المسائل والقضايا الأدبية والنّقدية، فتأثّروا بذلك، ثم أضافوا إليها ما اكتسبوه من إمعانهم بعمق في كتاب الله العظيم بوصفه منهجا يحقق للإنسان إدراك المعرفة، وتربية الحس الجمالي عند التّأمل في ملكوت الخالق جلّت قدرته؛ ما منحهم توسّعًا في علوم عديدة كعلوم البلاغة والبيان وجنحوا إلى التّأويل في العلوم الشّرعية والفقهية والآداب. وكان ذلك خلال القرون الثّلاثة الأولى من ظهور الإسلام، وكانوا يضيفون إلى ما اكتسبوه من اطلاعهم على علوم الأمم التي سبقتهم في النواحي العقلية – المنهج التّجريبي الاستقرائي الذي يُعد من أهم مميزات العرب قديمًا[*].

لقد أتيح للعرب أن تكون لهم في القرون الوسطى القوّة الفكرية والتوسع والانفتاح ممّا سمح للأدب العربي أن يحتل مركزا تراثيا أدبيا يضم آداب العديد من الشعوب الإسلامية، ما لفت انتباه الكتّاب والعلماء الغربيين، فاهتمُّوا بآثار المفكرين والفلاسفة والأدباء العرب مثل ابن خلدون وابن رشد والفارابي، وترجمت مؤلّفاتهم ونقلت إلى أوروبّا، إضافة إلى ما قاموا به من ترجمات القرآن الكريم وألف ليلة وليلة، ومن كتب الأدب كرسالة الغفران، وقصّة حيي بن يقظان، وفن المقامات، وغيرها من الدواوين الشِّعريّة[33]. (وفي العصر الحديث أصبح للعولمة دور كبير في سهولة انتشار مفهوم المثاقفة الفكرية وممارسة هذا المفهوم على أرض الواقع، وظهرت آثار هذا الدور للعولمة في أوجه التّواصل بين الشعوب عبر منافذ عديدة كالاتِّصال الإعلامي والثّقافي والمؤتمرات والنّدوات والترجمة وغير ذلك من وسائل وطرائق التّواصل، حيث أصبح تأثير الثقافة الغربية على العرب قويا.

## الإحالات:

**(1)-** علي حرب، الأختام الأصولية والشعائر التقدمية، ط1، المركز الثقافي المعرب، 2001، ص24.

**(2)-** غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط9، 2008م ، ص 21.

**(3)-** المرجع نفسه، ص21.

**(4)**- Master plots, Edited by FRANK N.MAGILL, SALEM PRESS, V0lume 1, p;48.

**(5)-** شوقي ضيف، من المشرق والمغرب ، ط1، الدار المصرية اللبنانية، 1998، 29.

**(6)-** وهناك كتاب باللاّتينية ألّفه جولينوس فاليروس في أواخر القرن الثالث الميلادي يضم رسالة من الإسكندر إلى أرسطو عن عجائب الهند مليء بحكايات الرحالة. وفي الأدب العربي حكايات كثيرة عن الإسكندر يرجع بعضها إلى كاليسنيتس وبعضها إلى النسخ السوريانية...، ويُطلق الإسكندر في بعض هذه الحكايات لقب "ذو القرنين" وهو يرجع فيما يبدو إمّا إلى تأثير القرآن الكريم الذي يتحدّث عن شخصية مختلفة تمامًا باسم "ذو القرنين" وإمّا إلى بعض الروايات المسيحية لتاريخ كالستينيس.(أنظر،حدود الأدب المقارن، 2002 ص 120 – 121).

**(7)-** بندلي جوزي، اصطلاحات يونانية إلى اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية، أكتوبر، 1936، م320/3.

**(8)-** إبراهيم البليهي، حصون التخلف مواقع النهوض في حوارات ومكاشفات، ط1، منشورات الجمل، 2010، ص363.

**(9)-** انظر: مايكل مورجان، تاريخ ضائع التراث الخالد لعلماء الإسلام ومفكريه وفنانيه، نهضة مصر للطباعة والنشر، 2008، ص7 وما بعدها.

**(10)-** محمد عمارة، التراث في ضوء العقل، ط9، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، 1984، ص 117.

**(11)-** أحمد أمين، ظهر الإسلام، ط3، مكتبة النهضة، 1962، 168.

**(12)-** اهتم العرب بترجمة وشرح كتاب أرسطو "فن الشعر" واستعانوا بشرّاح (كالإسكندر الإفرديسي) و(كثاوفورسطس، وتناوله فلاسفة العرب الأربعة: الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد. ونقل عن ابن أبي أصيبعة ج217/1؛ عن "كتاب المذكرات لشاذان": "وحذّاق الترجمة في الإسلام أربعة: حنين بن إسحق الكندي وثابت بن قرّة الحرّاني وعمر بن الفرخان الطّبري."أنظر كتاب أرسطو طاليس في الشعر، نقل أبي بشر متّى بن يونس القنّائي من السرياني إلى العربي، حققه مع ترجمة حديثة الدكتور شكري محمد عيّاد، ص 193، كذلك أنظر أحمد أمين، ظهور الإسلام، مكتبة النهضة، ط3، 1962، ص 168.

**(13)-** أثبت ابن النديم أسماء الذين نقلوا من الفارسية إلى العربية؛ وهم عبد الله بن المقفّع، وأبو الحسن علي بن زياد التّميمي، والحسن بن سهل، وجبلة بن سالم، وإسحاق بن زيد، ومحمد بن الجهم البرمكي، وهاشم بن القاسم، وموسى بن عيسى الكردي، وبهرام بن مطيار الأصفهاني.(الفهرست لابن النديم ص 244).

**(14)-** حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي، ط1، الدار العربية للعلوم، 2007، 210.

**(15)-** علي حرب، النص والحقيقة، ط1، المركز الثقافي العربي، 1995، 67.

**(16)-** من هذه الألفاظ: البقدونس، والزيزفون، والمصطكى، وأسماء في الاستعمالات الطبية، مثل القولنج، والترياق، ومن الأدوات: الاصطرلاب، القيراط، الصّابون، ومن المصطلحات الفلسفية ونحوها: الهيولي، الطّلسم، الفلسفة، السفسطة، القانون، القاموس (الفهرست، ص 305 –306).

**(17)-** صالح آدم بيلو، الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب، ط1، مكة المكرمة، 1988م، ص46 وما بعدها.

**(18)-** لم يكن لإسبانيا دور حضاري في العالم القديم، إذ ظلّت آمادا متطاولة أمّة عادية تستقبل الحضارات ولا تكوِّن لنفسها من خلالها حضارة متميِّزة. وكان أول ما استقبلت من الحضارات الحضارة الفينقية على أيدي غزاتها من الفينيقيين في القرن العاشر قبل الميلاد، وكونوا مستعمرات لهم في مالقة وقادش. وبعد نحو خمسة قرون استقبلت الحضارة اليونانية على أيدي غزاتها من اليونانيين وأسّسوا فيها مدينة برشلونة... وفتح العرب إسبانيا — ومعهم البربر — فتمّ لها تكوينها الجنسي بما كان فيها من قبائل إيبيرية قديمة وما نزل فيها من عناصر فينيقية ويونانية وقرطاجينية ورومانية وجرمانية وما كان فيها من عناصر يهودية وما جلب إليها أمراء الدولة الأموية من عناصر صقليّة كانت تجلب من شرقي أوروبّا ومن إيطاليا وفرنسا وألمانيا وبذلك اشتركت في تكوين إسبانيا القارّات الثلاث القديمة: أوروبّا وأفريقيا وآسيا، بحيث يستطيع قائل أن يزعم أنّ الأسبان ليسوا أوربيين بالمعنى الدّقيق لكلمة أوروبِّي، هم أوروبيون من حيث الموطن والمسكن، أمّا الشّعب فمزيج معقّد من شعوب كثيرة مختلفة.(يُنظر شوقي ضيف، من المشرق والمغرب: بحوث في الأدب ص 144 – 147).

**(19)-** ماريا روزا مونيكال، الدور العربي في التاريخ الأدبي للقرون الوسطى تراث منسي، ت: صالح بن مغيض الغامضي، الرياض، 1419هـ، 98 – 99.

**(20)-** برهان غليون، اغتيال العقل، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990، ص122.

**(21)-** علي حرب، النص والحقيقة، ص15.

**(22)-** عبد المجيد مزياني، مفهوم الأمن القويم، مجلة الثقافة، العدد 76 يونوي أغسطس، 1983، ص11.

**(23)-** علي حرب، الأختام الأصولية والشعائر التقدمية، مصائر المشروع الثقافي العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001، ص19.

**(24)-** علي حرب، النص والحقيقة، ص 25.

**(25)-** علي حرب، ص28.

**(26)-** المرجع نفسه، ص18.

**(27)-** المرجع نفسه، ص60.

**(28)-** لأنهم استوعبوا سر التّقدم ولا شك أن بعضًا من هذه الشعوب لها حضارتها العريقة كالصين والهند مثلاً، إلاّ أنها لم تقف أمام التقدم الذي حققه الغرب في شتّى مجالات الحياة متفرجة ومستهلكة فقط، بل تفاعلت مع المتغيرات التي تتطلبها الحياة فنقلت وحاكي واقتبست ثم أتت بما هو جديد موائم لواقعها ومجتمعاتها، وزاوجت بين حضارتها القديمة وإبداعاتها الحديثة التي استقتها من الغرب، وأوجدت تآلف بين الأوجه المختلفة من الفكر الآخر.( انظر: إبراهيم البليهي، حصون التّخلف، التخلف مواقع النهوض في حوارات ومكاش فات، ط1، منشورات الجمل، بيروت، 2010، 78).

**(29)-** حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2000، ص449 وما بعدها.

**(30)-** سعيد علُّوش، مدارس الأدب المقارن–دراسة منهجية، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1987، ص150 وما بعدها.

**(*)-** محمود أحمد السيد، التراث بين الماضي الحي والغد المنشود، العرب: مجلة تعني بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري، دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض، ج9 و10، 1431، ص 524 -525.

(31)- مايكل هاملتون مورجان، تاريخ ضائع التراث الخالد لعلماء الإسلام وفكرية و.....ص52.

(32)- محمد مفتاح.مشكاة المفاهيم: النقد المعرفي والمثاقفة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000 ، ص 35.

(*)- يُنظر: المصطلح النقدي في نقد الشعر، إدريس الناقوري، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1984 م، ص 28.

(33)- عبد الحكيم حسّان، صلات الأدب العربي بالآداب الأجنبية ضمن أعمال الملتقى حول الأدب المقارن عند العرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص83 وما بعدها.